

تفريغ الدرس الثامن من التعليق على كتاب: "رياض الصالحين" للحافظ النووي -رحمه الله تعالى- (تابع لباب الصبر، من الحديث 35 إلى الحديث 43).

قال الشيخ أبو حذيفة محمود الشيخ -حفظه الله تعالى:-

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه
أجمعين، أما بعد:

فأيها الإخوة -بارك الله فيكم- هذا المجلس الثامن من مجالس شرح "رياض الصالحين" للحافظ النووي -رحمه الله تعالى-: لازلنا في باب الصبر.

36 - وعن أبي عبد الرحمان عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمُوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ¹.

يحكي النبي ﷺ عن نبي من الأنبياء: أن قومه ضربوه وأدموه، **يقول الشيخ العثيمين²:** "قومه ضربوه، ولم يضربوه إلا حيث كذبوه حتى أدموا وجهه، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"، يبين النبي ﷺ أن الأنبياء كان حالهم هذا، ذكر نبيا من الأنبياء ضربه قومه حتى أدموه، وهو صابر محتسب ويقول: **(اللهم اغفر لقومي)** صابر، بل لا زال يرجو فيهم الخير **(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)**، وهكذا حال الأنبياء حقيقة، كانوا مع أقوامهم، كانوا يصبرون عليهم، كذبوا نوحا قال:

ذُرِّيُّنَا نَارٌ مِّنْ نَّارٍ يَّأْكُلُونَ أَهْلَهُمْ [الأعراف].

يَأْتِيهِمْ وَيُنَاقِشُهُمْ، وَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ احْمِجْ خَمْسَ سَجَدَ سَجَدَ سَجَدَ سَجَدَ سَجَدَ ضِدَّ
ضِدَّ ضِمَّ طَظَمَ عَجَمَ غَجَمَ فَجَدَ فَدَجَمَ [هُود]

أمامهم نرنزمن نى نى يريزيمين [هود] إلى آخره، أشياء كثيرة من التكذيب، وهو يصبر عليهم، بقي يدعوهم ليلا ونهارا، سرا وجهرا، يدعوهم في بطون أمهاتهم، حتى قال: **أَدْخُلْهُمْ مَجْمَعًا** [نوح]

فدعا عليهم بعد أن بقي صابرا محتسبا، ثَأْتِ أَفْذَخْ فَمَقْدَمُكُمْ [العنكبوت]
والأنبياء من بعدهم هود -عليه السلام- اتهموه بالكذب وبالسفاهة، قالوا: أَقْحَمُكُمْ
كَذْكَالَ كَمْ لِحْلُوحٍ لَخْلُمٍ لَهُمْ مَجْمَدُهُمْ [الأعراف]

1 البخاري: 3477، ومسلم: 1792.

2 شرح رياض الصالحين (240/1).

فأصبر، خاصة نحن في زمان الغربة، أصبر يا طالب العلم، صبر أخاك بجانبك، أدرس وأقرأ كتب السير، وانظر حال العلماء، وحال الأنبياء، كيف كان يصيبهم الأذى فيصبرون، وسنذكر الآن جملة من هذا، أو حديثاً يبين مثل هذه الأشياء.

قال:

37 - وعن أبي سعيد وأبي هريرة - رضي الله عنهما -، عن النبي ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ³.
و «الْوَصَبُ»: المرض.

والنصب: هو التعب.

هذا ما يصيب المؤمن، أو المسلم على العموم من نصب: تعب، ولا وصب: ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، ولا أي شيء من آلام الدنيا، وهذه الدنيا دار ابتلاء (حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) هذا فيه حقيقة نعمة أنت أيها المؤمن بلاؤك محسوب لك، وبلاء الكفار عقاباً لهم في الدنيا، وينتظرهم عقاب الآخرة، فالحمد لله على نعمته، الحمد لله حتى الشوكة تشاكها إلا كفر الله عنك بها من خطاياك، فلا بد للإنسان أن يبقى حقيقة مسروراً، حتى وإن أصابه البلاء يصبر ويشكر، ويحمد الله - سبحانه وتعالى -.

(38 - وعن ابن مسعود - رضي الله عنه- قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُوعَكُ وَعَا شَدِيدًا) يتألم ﷺ، ولعل هذا في مرض موته (إِنَّكَ تُوعَكُ وَعَا شَدِيدًا) كانت الحمى شديدة عليه، حتى دخل عليه أحد الصحابة وقال: ما أشد الحمى عليك يا رسول الله، شديدة جدا، النبي ﷺ كانت تأتيه الحمى فتصرعه، ويغمى عليه، حتى كان يقوم إلى الصلاة فيغشى عليه، يأتون بقرب الماء فيصبونها حتى وصلوا إلى سبع قرب من الماء، حتى استيقظ النبي ﷺ أول ما استيقظ، ماذا قال؟ أصلى الناس؟

قالوا: هم ينتظرونك يا رسول الله، فهم أن يقوم فأغشى عليه مرة أخرى، ثم صبوا عليه قريبا أخرى، حتى إذا استيقظ قال: أصلى الناس؟

قالوا: هم ينتظرونك يا رسول الله، حتى أغشى عليه، فلما لم يستطع أن يقوم قال: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصِلْ بِالنَّاسِ، كَانَ يُوَعَكُ وَعَا شَدِيدًا، يَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُوعَكُ وَعَا شَدِيدًا قَالَ: «أَجَلٌ، إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قُلْتُ: ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، ذَلِكَ كَذَلِكَ» أَي: ذَلِكَ الْبَلَاءُ بِهَذَا الْأَمْرِ، أَوْ ذَلِكَ الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ بِذَلِكَ الَّذِي أَجَبْتُكَ عَنْهُ، ذَلِكَ الْوَعَكُ الشَّدِيدُ بِأَنْ لَنَا أَجْرَيْنِ.

قال: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقُهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ⁴.

و «الْوَعَكُ»: مَعْتُ الْحُمَى، وَقِيلَ: الْحُمَى) ألم شديد من الحمى، هذا يبين لنا خطأ كثير من الناس، الذين يتسخطون على أقدار الله، إذا أصابهم هم أو غم أو بلاء، فإنه يتضرع ويتسخط ويقول: لماذا يفعل الله بي هذا؟ ولم يكرهني؟ لا، أبدا، بالعكس: لعل الله يحبك، فقد أصيب بأكثر منك من هو أقرب منك إلى الله - سبحانه وتعالى-، ومن هو أحب إلى الله منك، أصيب بأكثر مما أصبت به، وابتلي فمات مقتولا، من الأنبياء من مات مقتولا: قتل يحيى عليه السلام وقتل أبوه، وهناك أنبياء قتلوا، وهناك أنبياء طردوا، وهناك أنبياء سجنوا، وهناك أنبياء ضربوا وأدموا وضربوا، والكثير، والنبي ﷺ أصابه شتى أنواع البلاءات، مات أبناؤه، ومات بعض زوجاته، كان يتيما ﷺ، كان يتألم في الحروب، كُسرَت رِباعيته في في أحد لما وقع في حفرة، وأشياء كثيرة، ثم حصر في الشعب عندما حاصره القرشيون مع أهله، وهاجر بخفية إلى المدينة، وكان يتعب في السفر، حتى في آخر زمانه كان يصلي قاعدا، تقول عائشة - رضي الله تعالى

⁴ البخاري: 5648، ومسلم: 2571.

عنها:- "لقد حَطَمَه الناس"، كان النبي ﷺ يتعب، ويوعك كما يوعك الرجلان منا، وكان يتألم، ويتألم ويصبر ويشكر، ولكنه كان صابرا، كان حامدا محتسبا، بل كان شاكرا، حتى لما كان في صلاته ساجدا كان يكثر أن يقول: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"، تسأله زينب -رضي الله تعالى عنها-، وفي حديث المغيرة بن شعبه: أنه قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فكيف فتطلب: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي"، وأنت قلبك ثابت، وأنت غفر لك أصلا ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فكيف سيتقلب قلبك بعد ذلك، بعد هذا الوعد من الله -سبحانه وتعالى-؟ فقال النبي ﷺ: "أفلا أكون عبدا شكورا؟"، عبدا شكورا لله -سبحانه وتعالى-.

39 - وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ». رواه البخاري.
وَضَبَطُوا «يُصِبْ» بِفَتْحِ الصَّادِ وَكَسْرِهَا.

(وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ») هذا خير إذا أصابك البلاء أيها المؤمن، لماذا؟ لدلالة الحديث بلفظه: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ) طبعاً يرد خيراً، يصب منه، بشرط ماذا؟ أن يحقق الباب وهو: الصبر، أن يصبر على هذا المصاب، حتى يكون الخير قد أصابه.
يقول: (وَضَبَطُوا «يُصِبْ» بِفَتْحِ الصَّادِ وَكَسْرِهَا) يعني: (يُصِبْ) و(يُصِبْ مِنْهُ) كلاهما صحيح.

40 - وعن أنس - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لَضَرِّ أَصَابِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ 5.

البلاء بالمؤمن عظيم، عليه أن يصبر، وأن يرتقي ويشكر، ولكن لا يعني ذلك إذا أراد أن يثبت لنفسه إيمانه أن يتمنى البلاء، أو يتمنى الموت إذا أصابه ضرر، إذا أصابه ضرر فعليه أن يصبر ويحمد الله عليه، ويشكر ويرضى، أما أن يقول: "اللهم امتني بسبب هذا الضرر"، هذا الضرر الذي أصابك فيه خيرات عظيمة، وحكم من الله - سبحانه وتعالى -، ولربما الموت الذي إذا أردته أن يحرملك من أن تتوب، وتستغفر وتسترجع، وتستعتب؛ تستعتب نفسك، يحرملك من أفعال كثيرة، من الخيرات بموتك، لا شك أن الذي يطول عمره ويحسن عمله، خير من شخص قصر عمره وحسن عمله، فأنت حرمت نفسك من الخير كثير، وحرمت نفسك من أشياء كان أولى بك أن تتوب منها، فلم يتسن لك ذلك، يوم القيامة تلقاها أمامك في صحيفتك، فلا تتمنى الموت لضر أصابك، بل إصبر، أما إذا كنت فاعلا ولا بُدَّ، فماذا تقول؟ استخر الله - سبحانه وتعالى -، واجعل الأمر متعلقا بمشيئة الله، وبعلم الله - سبحانه وتعالى - فقل: (اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي) وهذا واضح (متفق عليه) أما الانسان حقيقة إذا أصابه [ضرر]، إذا أراد أن يدعو؛ يدعو أن يثبتته الله، وأن يصبره الله، وأن يعينه، وأن يأجره في مصيبته خيرا، هذا هو الواجب على المسلم، طبعاً أنا قلت: كثيرا يعني: أن هنالك مسائل، فوائد يذكرها الشيخ العثيمين، وحقيقة لا يخلو أي كتاب من فوائد الشيخ الإمام العلامة العثيمين؛ لا يخلو كتاب، من أراد جميل الفوائد، وعظيم العبر والعظات والحكم، والفوائد الفقهية والعقلية، وغير ذلك، فعليه بآبن عثيمين، لأنه يتوسع في المسائل، ويذكر أشياء جميلة جدا، ففي كل حديث تجد له حقيقة فائدة نفيسة، ولكن كما قلت يعني: أنا أحاول أن أحصر نفسي في الحديث ضمن الباب الذي أنا فيه، ولا أتوسع كثيرا إلا يعني أن نشطت لشيء، أو لحاجة، أو لشيء آخر، فمن أراد الاستزادة فعليه أن يذهب إلى الشيخ العثيمين مباشرة، أترك الكأس الذي تحمله بيدك، أعطيتك إياه، واذهب واشرب من المعين ولا تأخذ منه، وهذا هو الأفضل، لكن يعني سبحان الله! العَلَّ المعين إذا بعد عنك، فهذا الكأس بين يديك، وأسأل الله تعالى أن يكون الكأس طيبا، فأنا أصلا أخذته من ذلك المعين، فأتيت به إن شاء الله تعالى بكل أمانة، وبصدق لك، يعني: أنني حملته لك كما قرأته.

قال في الحديث الواحد الحادي والأربعين:

41 - وعن أبي عبد الله خَبَّاب بن الْأَرْتِ - رضي الله عنه - قَالَ: شَكُّونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ، وَيُمَشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». رواه البخاري.

وفي رواية: «وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً».

(وعن أبي عبد الله خَبَّاب بن الْأَرْتِ - رضي الله عنه - قَالَ: شَكُّونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟) هنا اشتد أذى قريش على الصحابة، خاصة الضعفاء منهم، القريشيون كانوا في جاهليتهم، كانوا في بداية الإسلام، يحاربون النبي ﷺ بالكلام عنه، وبايذاء أصحابه، ومن أصحابه الذين يؤذونهم؟ الضعفاء منهم، هم لا يستطيعون أن يقولوا على الأقوياء، فإن لهم منعة من أقوامهم، لكن يأتون إلى مثل: عمار بن ياسر، وأبيه، وأمه، يأتون إلى مثل: بلال بن رباح، إلى صهيب الرومي، إلى خَبَّاب بن الْأَرْتِ، إلى الضعفاء من الناس = فيؤذون النبي ﷺ بذلك، هكذا حالهم كان، كان خَبَّاب هذا يوضع على الجمر - رضي الله تعالى عنه -؛ يوضع على الجمر حتى يترك دينه، كانت توضع الصخور على رقبة وصدر بلال حتى يترك دينه، ويقول: "أحد، أحد"، عمار أبويه يقتلان أمامه، وكان صابرا محتسبا، ويتألمون من ذلك، وهنا ماذا النبي ﷺ فعل لهم؟ النبي ﷺ كان يصبرهم، ويثبتهم، ويقول: "هذه الدعوة"، الدعوة تحتاج إلى بلاء، وتحتاج إلى صبر، لا بد أن تأذوا في سبيل الله، ليس لهم من الأمر شيء.

هنا جاء خَبَّاب يشكو تعذيب قريش له فقال: (أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟) أنت نبي (أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟) أي: تطلب النصر لنا من الله، والنصرة منه، فهو ناصرك إن طلبتها منه.

(أَلَا تَدْعُو لَنَا؟) إذن: استنصر لنا بالدعاء، هذا ما يريده خَبَّاب، ماذا قال النبي ﷺ؟ وأظن أنه في رواية جاء قرأتها أنه غضب، وأنه احمر وجهه، وكان متوسدا بُردة، فجلس: فقد ﷺ فقال يذكره بحال الدعوة والدعاة، وما هو مصيرهم، وطريقهم، وأن طريقهم هذا طريق عظيم، مليء بالشوك = عليهم أن يصبروا قال: (قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلَكُمْ) أي: من الأمم السابقين (يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ) كانوا صابرين، ذكرنا في الحديث الماضي -حديث الغلام، وأصحاب الأخدود- لما تلكأت المرأة، ماذا قال لها صبيها؟ قال: "إرم أماء فإنك على الحق" وقيل: هذا الصبي عندما يسأل من الذي تكلم في المهد قيل: ابن هذه المرأة، وقيل أيضا: ابن ماشطة فرعون عندما فعل بها نفس الأمر، فأحمي لها قدر فيه زيت وأمرت أن تقع فيه فتلكأت فتكلم صبيها وقال: "إرم أماء فإنك على الحق" فهذا حال السابقين: الصبر على الأذى، فيقول النبي ﷺ: (كَانَ مِنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ) حتى يتفرق اللحم عن العظم، ويموت من هذا (مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ) بل كان صابرا، وكان محتسبا إلى أن يأتي فرج الله -سبحانه وتعالى-.

ثم النبي ﷺ أقسم لهم بأمر وهو واثق بصدقه وصدق الله -سبحانه وتعالى-، والله لا يخلف وعده، والله قد صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، فقال النبي ﷺ: (وَاللَّهِ لَيُيَمِّنَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ) أي: أمر؟ أي: أمر الإسلام سيتم هذا الأمر (حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكُمْ تَسْتَعِجُلُونَ) هذه مشكلة الاستعجال، الذين يبحثون عن الإصلاح، لو فرضنا أنهم صدقوا، مع أننا نرى ونسمع والله ما خرجوا لله، والله ما خرجوا لله، ما خرجوا إلا لدنيا، والله ما خرجوا لرفع راية الله، حتى وإن خرجوا يرفعون راية الله فهذا غير مقبول منهم، هم يخرجون على رايات عمية، بل يخالفون أمر الله بالخروج، بأشياء كثيرة، سواء خرجوا على إمام مسلم، أو على غيره، فلا شك أنهم خالفوا الله في كلا الأمرين، خالفوا الله في الخروج على الإمام المسلم، فهذا الخروج مطلقا حرام ولا يجوز البتة، بل نحن مأمورون بالصبر في أحاديث كثيرة جاءت في ذلك، والإمام الكافر أو الحاكم الكافر الذي يخرج عليه، هذا لا يجوز حقيقة أن يخرج عليه عند تحقق مفسدة أكبر، وقد ذكر العلماء أنه: لا بد من تحقق المصلحة، ولا يكون هناك مفسدة أعظم، ذكر ذلك شيخ الإسلام وغيره في شروط الجهاد، وشروط الخروج، وغير ذلك، وهذه الأحكام المهمة الناس تستعجل، ومع ذلك الناس في زماننا لا يخرجون لا لدين ولا لرفع لا إله إلا الله، ولا لشيء، ولا للإسلام، إلا لدنيا، إلا لمناصب، إلا لأن يغيروا رؤوسا، فيحضرون رؤوسا على أهوائهم، ولا تنتهي الأهواء، وبالتالي: لن ينتهي الشر فهم فاسدون مفسدون، ونسأل الله السلامة، المطلوب منا أن نصبر على الأذى، وأن نبحث عن طريقة للتغيير في أنفسنا **أَجْرِبْ بِخَبْرِهِمْ تَجِدْ تَخْذُ** تمت **ثم ضد** [الرعد] أفهمها على الطريقتين سواء قلت: **أَجْرِبْ بِخَبْرِهِمْ تَجِدْ** من النعم إلى

النقم، إلا إذا غيروا الخير، أو الحمد وشكر النعمة إلى كفرها أو أبجربخيم بهتجّ الحال الفاسد الذي هم فيه، إلى حال طيب، هذه سنن من الله - سبحانه وتعالى -، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، سيتم هذا الأمر، والله - سبحانه وتعالى - سينصر المسلمين، وسيعز الإسلام كما كان من قبل، وسيعود أهله إليه حقيقة إعراء، ولهم الكلمة، وسيأتي في زمان من الأزمنة تعود الخلافة الراشدة وتحكيم شرع الله - سبحانه وتعالى - ولا بُدَّ، هذا أمر محتوم، متأكدون منه كأنه أماننا، ونسمع ونعرف كل شيء، نرى أماننا أشياء أماننا، والله لا نشك أنها موجودة، ونعلم ونرى ومتيقنون أن النصر قادم، وأن هنالك خلافة، نرى أن هنالك خلافة راشدة ولا بُدَّ، ستأتي وأننا في هذا الزمان ظالمون أكثر مما أن نقول: مظلومين، وإنما ظلمنا بظلمنا هذا حق، وهذا واقع، فمن يريد أن يغير هذا الواقع فعليه أن يتغير، وأن يعود إلى الله، وأن يصلح ما بينه وبين الله، فوالله قد أفسدنا كثيرا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الصحابة في زمان النبي ﷺ كانوا على الحق، وكانوا على الخير، ولكن النبي وسلم أنكر على خَبَّاب وقال: **(ولكنكم تستعجلون)** أنتم تستعجلون وهذه أيضا، إذا كنت على الخير ومشيت في طريقه لا تستعجل قطف الثمار، لا تستعجل قطف الثمار، فالموسم طويل، وآخره خير إن شاء الله تعالى، إن أنت اعتنيت بالشجر، وبذرت جيدا البذار، وسقيت الأرض سقيا جيدا وطيبا، ومشيت بطريقة صحيحة، فالدعوة إلى الله هكذا طريقها، فإن طال المقام فلا بد أن تحصل على الثمار، إن لم تحصل عليها الثمار أنت فأجرك على الله، وسيحصل عليها من سيأتي بعدك، ولكن لا تستعجل، لماذا؟ علينا أن نصبر.

الحديث الذي بعده، قال:

42 - وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُبَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا عَدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ. ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ

يَعْدِلُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ». فَقُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ⁶.

وَقَوْلُهُ: «كَالصِرْفِ» هُوَ بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ: وَهُوَ صِبْغٌ أَحْمَرٌ.

(وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ) النَّبِيُّ ﷺ فِي حُنَيْنٍ خَرَجَ مَعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، حُنَيْنٌ خَرَجَ مَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ، وَخَرَجَ مَعَهُ الْأَنْصَارُ، وَخَرَجَ مَعَهُ مَنْ أَسْلَمَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ مِنَ الْعَرَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ قَدْ تَأَلَّفَ قَلْبُهُ؛ حَدِيثٌ عَهْدٌ بِإِسْلَامِهِ، لَمْ يَثْبُتِ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِهِ، وَالْإِيمَانُ لَا زَالَ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ، يَرِيدُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَأَلَّفَهُمْ، يَرِيدُ أَنْ يَعْطِيَهُمْ فَيَسْلَمَ قَوْمَهُمْ، فَالْمَذْكُورُونَ هُنَا: الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَالْأَشْرَافُ، قَالَ: (وَأَعْطَى نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ) لِمَاذَا؟ هُوَ لَا تَحْتَمُّهُمُ أَنْاسُ كَثِيرُونَ، فَإِذَا رَضُوا يَرْضَى الَّذِينَ تَحْتَمُّهُمْ، وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَعْرَابِ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَادِيَا مِنْ غَنَمٍ، فَذَهَبَ إِلَى قَوْمِهِ يَقُولُ: "يَا قَوْمُ، أَسْلِمُوا! فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ"⁷، يَعْطِي عَطَاءً كَثِيرًا، ادْخُلُوا الْإِسْلَامَ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَهَذَا فِيهِ أَعْطَاءُ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبَهُمْ، إِذَنْ: عَلَيْنَا حَقِيقَةٌ أَلَّا نَسْتَعْجِلَ عَلَى إِمَامِنَا إِذَا كَانَ عَادِلًا، أَوْ لَا نَسْتَعْجِلَ إِذَا رَأَيْنَا شَيْئًا قَدْ نَرَاهُ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ شَرًّا، أَوْ لَيْسَ عَلَى أَهْوَانِنَا، أَوْ لَا يَرْضِينَا، لَرُبَّمَا يَكُونُ هُنَالِكَ حِكْمَةٌ أَعْظَمُ، طَبْعًا لَا شَكَّ أَنَّهَا حَتَّى الْأَمْرَاءَ وَالْحُكَّامَ وَغَيْرَهُمْ، أَوْ الْمَحْكُومِينَ، الْجَمِيعَ = لَا شَكَّ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مَعْصُومِينَ، وَقَدْ تَعْتَرِيهِمُ الْأَهْوَاءُ وَالْأَخْطَاءُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَقَاسُ بِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، فَالنَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَعْطَى فَلَانًا دُونَ فَلَانٍ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَظْلَمُ، لِذَلِكَ لَمَّا جَاءَ ذَلِكَ -وهذا أيضًا في قصة قريبة من هذا-: عِنْدَمَا قَالَ: "وَقَدْ أَعْطَى، فَأَعْطَى أَنَسًا، وَلَمْ يَعْطِ آخَرِينَ¹" فَمَاذَا قَالَ لَهُ الرَّجُلُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ عَامِلُهُ اللَّهُ بَعْدَلُهُ؟ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِعْدِلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ، اسْتَأْذَنَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ -عمر وخالد- بِقَتْلِهِ، فَتَرَكَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: "لَا تَقْتُلُوهُ، لَعَلَّهُ يَكُونُ مَصْلِيًّا، أَوْ لَعَلَّهُ يَصْلِي"، لَكِنَّ الشَّاهِدَ لِمَاذَا قَالُوا ذَلِكَ؟ لِأَنَّهُ يَعْتَرِضُ عَلَى عَدْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى تَقْسِيمَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَظْلَمُ، لَكِنَّ أَيْضًا نَسْتَفِيدُ أَنَّ لَا نَسْتَعْجِلُ عَلَى الْحُكْمِ عَلَى غَيْرِنَا، مِمَّنْ هُوَ كَانَ مَسْئُولًا عَنْهُ، مِنْ أَمْرَاءَ وَحُكَّامٍ وَمَدْرَاءَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، لَعَلَّ هُنَالِكَ شَيْئًا آخَرَ، فَالنَّبِيُّ ﷺ "أَعْطَى أَنَسًا وَلَمْ يَعْطِ آخَرِينَ، أَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، يَتَأَلَّفُ قُلُوبَهُمْ" هُنَالِكَ حِكْمَةٌ، أَمَّا الْمُقْرَبُونَ لَهُ، فَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ ضَمَّنَ أَنَّهُمْ

⁶ البخاري: (3150)، ومسلم: (1062).

⁷ مسلم: 2312.

إن شاء الله تعالى ثابتون، وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وذكرهم في كتابه، إلى آخره.

(فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَّا عُدِلَ فِيهَا) هذا هو ذو الخويصرة (وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَّا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ) لاحظ هنا قال: (وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ) يعني: هل نقول أنه فتن عنه؟ فسد عليه، أغرى به النبي ﷺ وملاً قلبه عليه؟ لا، ليس الأمر كذلك، بل هذا فيه أيضاً مصلحة، وهنا يجوز للمؤمن أن يخبر عن الشر وعن المحدث في مسجد، أو في غيره من أهل البدع، إذا كان ذلك يؤدي المسلمين، كالخوارج مثلاً، أن يخبر عنهم لمصلحة المسلمين، فهذا الرجل لم يقبل أن يكون بين المسلمين رجل يتكلم في النبي ﷺ يعني: هذا الرجل فيه نفاق، هذا الرجل فيه مشكلة.

فقال: (وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ) سيذكر الآن الصرف: هو صبغ أحمر يعني: احمر وجهه، ثم قال: (فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟) تتهمني بعدم العدل، إذا الرسول لم يعدل، من الذي يعدل؟ قال: (ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ) نعم، ثأناً أكي كي لم لي لي مامم نرنزنم نني ني ييريزيمين [الأحزاب].

كان موسى يتأدب، ولا يقبل أن يغتسل فيما ذكر عنه، وهذا حديث صحيح، يغتسل أمام الناس، فكان يغتسل لوحده، فظنوا أن فيه مشكلة، في خلقة جسده، وذكره بأشياء قبيحة، فالحمد لله - سبحانه وتعالى - أراد أن يبرئه مما قالوا، لأن هذا كان يؤدي موسى عليه السلام، فكان في يوم من الأيام يستحم كعادته في ماء النهر، أو في غيره، ووضع ثيابه على الحجر، فإذا بالحجر ينطلق بثيابه، فيلحق موسى الحجر، وهو مستغرب، ونسي نفسه أنه كان يغتسل، فصار ينادي "ثوبي حجر، ثوبي حجر"، حتى رآه جميع الناس، فعرفوا أنه ليس بأذر أي: ليس فيه علة، فلما أمسك الحجر، أخذ يضربه ويضربه ويضربه، الشاهد: أن موسى عليه السلام كان يؤدي من قومه، كان يؤدي كثيراً، في قصص كثيرة، ما أكثر ما أدى موسى قومه، نسأل الله السلامة، فكان حاله ماذا؟ قال: (قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ). فَقُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) حزن ابن مسعود لما أخبر النبي ﷺ بهذا الخبر أي: أنه أدخل الحزن على قلبه فقال: (لا جرم) أي: لا شك (لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا) لن أتكلم عن أحد، طبعاً هذا لا يعني أنه لا يجوز التكلم كما قلنا، بل يجوز الإخبار بما فيه مصلحة.

الحديث الذي بعده، قال:

43 - وعن أنس - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». رواه الترمذي، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»⁸.

(وعن أنس - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ») إذا أصابك يا أيها العبد العقوبة في الدنيا، فهذا خير لك؛ لأنه إن كان عليك عقوبة لازما، أو أراد الله بك عقوبة، وعلى ذنب أذنبته، وكلنا أصحاب ذنب، نسأل الله أن يستر علينا، وأن يغفر لنا، وأن يعفو عنا، وأن يسامحنا، وأن يتوب علينا، وأن يصلح قلوبنا، فإن أصابك العقوبة في الدنيا فهذا خير لك، العقوبة في الدنيا أخف، تتحملها، ولكن لن تتحمل عقوبة يوم القيامة، نسأل الله السلامة، لماذا؟ يقول: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ) متى؟ (فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) هل يعني ذلك نقول: اللهم عجل لي العقوبة في الدنيا؟ لا، تقول: اللهم إني أسألك السلامة والعافية، اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر

عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي، هذا حال المسلم لا يتمنى العقوبة في الدنيا، بل يستغفر ويتوب ويستعذب، ولكن إن صار وأصابه العقوبة في الدنيا فإنه يحمد الله؛ لأن هذا خير له، ويخشى على نفسه إذا أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة، ومن منا يستطيع على ذلك نسأل الله السلامة (وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عَظْمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظْمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ» يعظم جزاؤك وأجركَ عند الله إذا عظم بلاؤك (وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ) فإذا أصبت ببلاء، فلا يعني ذلك أن الله لا يحبك، بل أصاب من هو خير منك وأحب إلى الله منك لأن (اللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا) إذا رضيت بعد ذلك، صابرا حامدا شاكرا محتسبا الأجر على الله، فلك الرضا من الله -سبحانه وتعالى- فالجزاء من جنس العمل (وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ) إذا سخطت فقد أصابك البلاء في الدنيا، ولك العقوبة على سخطك في الآخرة، نسأل الله السلامة، وإن لم يصبك عقوبة في الآخرة، فستبقى حزينا متحسرا منكبا على نفسك في بيتك، لا تريد أن ترى أحدا، ولا تنشط لعمل الخير، ولا تنشط لفعل الأصلح، ولن تقوم لعملك، إلى آخره، فهذا الذي نالك بسبب تسخطك، ولكنك لو رضيت وقلت: الحمد لله، وهذا حالي أحسن من حال غيري، وأنا فقير، ولكن غيري مريض، أنا مريض، غيري ليس عنده أولاد، الذي ليس عنده أولاد، أفضل لهم من أن يكون عنده أولاد ويتعبونه، وهذا أشياء كثيرة، وكل واحد عنده خيرات، وتتنظر إلى غيره، فتحمد الله على ما أنت فيه.

قال: (رواه الترمذي، وَقَالَ: «حديث حسن») عند الترمذي -رحمه الله تعالى- ألفاظ كثيرة في الحكم الأحاديث في بعض الأحيان، يقول: "هذا حديث صحيح" في بعض الأحيان، يقول: "هذا حديث صحيح، وهذا غريب"، بعض الأحيان يقول: "هذا حسن صحيح، وهذا غريب"، بعض الأحيان يقول: "هذا حسن" وله اصطلاحات، راجع كتاب الترمذي، وراجع آخر كتابه "الجامع" في آخر باب، أو بآخر الكتاب هو كتاب العلل، الذي يسميه العلماء بالعلل الصغير، الذي شرحه بعض العلماء: منهم ابن رجب، ولا أعرف من شرحه غيره صراحة في ذلك من الماضين، كتاب شرح العلل لابن رجب هو المقصود به كتاب العلل الصغير، وقالوا: كتاب العلل الصغير، حتى يفرقوا بينه وبين الكتاب المفرد الذي كتبه وهو كتاب العلل الكبير، سماه العلماء بالعلل الكبير، وهذا مثل كتاب الأدب المفرد للبخاري، حتى يميزوه عن كتاب الأدب في صحيح البخاري.

نتوقف عند هذا القدر، ونكمل إن شاء الله تعالى في الدرس القادم، تنمة ما بقي لنا من باب الصبر، سبحانه اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام ورحمة الله وبركاته.

